اللغة العربية بين العصر الذهبي للمسلمين وواقع العصر الحديث: دراسة مقارنة

د. كريمة عبد السلام محمد شروي

مقـــــدمة :

قال ابن فارس : "لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾-الشعراء:١٩٢-١٩٥- فوصفه الله تعالى بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾-الرحمن :٣-٤- فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة، والنشايا المتقنة، فلما خص سبحانه اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه."١ فكانت العربية من جملة الوفاق الحاصل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة بعد أن أعطيت لها المكانة المهمة باعتبارها لغة الوحي في المرحلة الإسلامية، وبعد اتساع رقعة العالم الإسلامي أخذت اللغة العربية تمتد مع نمو الإسلام حتى غدت اللغة الأولى في العالم الإسلامي كله، بإعتبارها لغة الثقافة والفكر، وقد استطاع علماء اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين تقنين اللغة العربية، ثم نشأت علوم اللغة والفقه والكلام واتسع نطاق اللغة العربية، إذ استطاعت العربية استيعاب ما ترجم اليها من الحكمة والطب والكيمياء والمنطق ومختلف العلوم. فكان حقا بان تلقب هذه الفترة ب" العصور الذهبية"، حيث برزت حواضر علمية عالمية كانت منارة للعلم، من الكوفة وبغداد الى دمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة ومراكش وفاس، فكانت جامعاتها مزدهرة وصناعاتها متقنة والعلم في تطور مستمر، واستمر هذا التفوق طوال القرن العاشر، وأصبحت جميع الاكتشافات الجديدة والآراء الحديثة تنشر بالعربية باعتبارها الوسيلة الدولية للتقدم العلمي، لذلك توافدت البعثات الغربية لتعلم اللغة العربية وأخذ المعرفة من خلالها.

ومن هنا فإن البحث يهدف الى التعريف بهذه الفترة الذهبية وما تميزت اللغة فيها من تقدم وازدهار، ومقارنتها بواقع اللغة بالعصر الحالي، وسيتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في عرض واقع اللغة العربية في العصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية، ومنهج نقدي لدراسة واقع حال اللغة في عصرنا الحالي.

وتأتي أهمية هذا البحث من أنه يقدم نموذجا عمليا ناجحا على قدرة اللغة العربية في استيعاب كل العلوم، كما هو الحال في العصور المتقدمة للحضارة العربية الإسلامية، للرد على المزاعم القائلة بعدم صلاحيتها وعجزها في أن تكون لغة حاملة للعلوم.

تـمـهـيـد:

اللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه، تتحد بها الأمة في صورة التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة. ٢ فهي عنصر علمي مستقل وظاهرة اجتماعية، وعامل حضاري، لكونها تنظم ما في العالم من أشياء ومفاهيم من الحالة الفوضوية والمتزاحمة الى حالة منظمة الى العلوم والمخترعات والقراءات والمعاني الواضحة، وتلبي أدق مطالب الحياة بألوان اشتقاقاتها.٣ وقد خص الله اللغة للإنسان حتى يتحقق التواصل بين الافراد والمجتمعات على اختلاف بيئاتهم، فهي أساس الحضارة البشرية، وعن طريقها أيضا لا ينقطع الانسان عن الحياة، فهي تعينه على الامتداد تاريخيا ليسهم في تشكيل فكر وثقافة وحياة الأجيال القادمة. ٤ من هنا يأتي الاهتمام باللغة والحفاظ عليها. واللغة العربية لها خصوصية تميزها عن بقية لغات العالم، في أنها تحمل أبعادا ثلاثة: البعد الديني، والبعد الاجتماعي، والبعد القومي، فقد شرف الله تبارك وتعالى اللغة العربية حين أنزل كتابه العزيز على قلب رسوله

ونبيه صلى الله عليه وسلم، فأصبحت لغة إنسانية ولسانا عالميا منذ ظهور الإسلام، أبدعت حضارة راقية أشعلت الأنوار التي بددت ظلمات العصور الوسطى في العالم. حتى انبثق فجر النهضة وعصر التنوير في أوروبا الذي قام على أساس من التراث العربي الإسلامي المدون باللغة العربية. ٥ هذا وإن مظاهر الحركة العلمية العربية الإسلامية بدأت منذ عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث كان يدعو الناس الى العلم ويحثهم عليه، فانطلق المسلمون الى العلم يتعلمون مبادئه ثم يتوسعون شيئا فشيئا، وبلغت أوجها في عصر الدولتين الأموية والعباسية، وساعد في ذلك اهتمام الخلفاء بالعلم وبالعلماء، وكان لذلك دور عظيم في تشجيع الحركة العلمية وازدهارها، لأن الاشراف المباشر للخلفاء على الحركة العلمية في جميع مجالاتها قد أعطاها أهمية.٦ وأخذت هذه الحقبة من تاريخ الحضارة الإسلامية لقب" العصر الذهبي". وهذا اللقب يطلق على أي حقبة من الزمن، تميزت بالازدهار والمنجزات الثقافية والعلمية.٧ وهو ما تميزت به الحضارة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية، وتمتد من منتصف القرن الثامن لغاية القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، فكانت العواصم كبغداد زمن العباسيين والقاهرة زمن الفاطميين وقرطبة زمن الأندلسيين في أوج ازدهارها الحضاري، ساطعة انوارها المعرفية لا على بلدان المنطقة فحسب بل جاوزتها الى البلدان الأوروبية ودخلت جامعاتها، وأجمل ما حققته هذه الفترة أن العلماء والكتاب كانوا من أعراق وأديان ومذاهب شتى، لكن ربطتهم رؤية معرفية ولغة ثقافية واحدة، الا وهي لغة القرآن الكريم التي كانوا يتحاورون بها ويؤلفون فيها، فحملة العلم في الإسلام عجم وعرب، ساهموا في دراسة اللغة العربية والحفاظ عليها، أمثال أسماء كبيرة كالخليل بن أحمد الفراهيدي والاخفش وابن السكيت والمبرد وابن دريد الى جانب أسماء أعجمية مثل الزمخشري وابن جني وابن فارس وغيرهم. ولا ضير بأن يكون الأمر كذلك فيصدر هذا النتاج الفذ من مجتمع جديد، إسلامي العقيدة، عربي اللسان، استقى العلوم من حضارة أعجمية إغريقية، فهؤلاء الاعاجم عاشوا في بلاد العرب وجمعوا تراثا مشتركا، وارتبطوا بمصير واحد، وقد تذوق جميعهم لغة العرب واخلصوا لها حتى قال احدهم وهو البيروني: " لأن أشتم بالعربية أحب أي من أن امدح بالفارسية" .فهم أفراد ساهموا في ادخال الأمة في شعاب العلوم، منطلقين من فهم دقائق اللغة وطاقاتها وتحديد الضوابط التي لا يجوز تجاوزها خشية الخروج عن روح اللغة والدخول في متاهات مضللة يضيع فيها رونق العربية، حتى أوصلوها الى تلك المرتبة المتميزة لغة عالمية استوعبت أرقى وارفع درجات المعرفة وأخرجتها ثمرة ناضجة في متناول كل من دخل حماها. ٨ وفي هذه الفترة حققت اللغة العربية سيطرة كاملة على الفكر الإسلامي وأصبحت هي لغة العلم والثقافة.

ولأن اللغة كائن حي قابل للتطور لارتباطه بمتطلبات المجتمع، يرتقي ويتغذى بتجاوبه مع ما يطرأ على المجتمع من تغيرات، فاللغة بذلك تتغير وتنمو وتتوسع أو تتأثر على قدر ما تمتلك من مرونة وحيوية، وما يتاح لها من فرض التفاعل، وما تتوافر لحياة مجتمعها من عوامل وأسباب التغير والتطور والتواصل مع المجتمعات الأخرى، وبذلك فهي غير قابلة للتقييد الصارم والتحديد القسري أو الكبح التام، إلا ان ذلك لا يدعو للتسليم بالرأي المتأثر بمناهج البنيوية، والقائل:" دع اللغة وشأنها، تسير حيث شاءت لها الظروف والمصادفات" فاللغة لها خصوصيتها التي لا يمكن أن تمس، ونظامها الذاتي المسار، لا مجال لتغيره أو التصرف فيه.٩يقول أنيس فريحة في كتابه " نظريات في اللغة": " اللغة مستودع الفكر وعنوان الحضارة لدى كل أمة، ولذا كانت من المقدسات، لأنها سجل حافل دونت فيه الأمة أحاسيسها الدينية.. ومنجزاتها العلمية..فاللغة ملك الأمة، لا الأفراد، اذن يجب أن تضبط أحكامها وأن يسيج حولها بسياج يقيها عبث العابثين وشرود الشاردين"١٠. فما هو واقع حال لغتنا الأم " العربية " في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وفي عصرنا الحالي، وهل ما تعانيه من إرهاصات يعود الى تخلف الحضارة العربية الإسلامية في مجال العلوم الحديثة مثل ما يذهب اليه الغالبية، أو هو بسبب العولمة مثل ما فسره البعض؟ او هو ضرورة حتمية في الأصل تستدعيها نظرية تطور اللغات وتقتضيها الظروف الحالية وبالتالي لا مشاكل بالأصل اذ يمكن خلق أي مزيج منها يحقق عملية التواصل وكفى، حتى لو كانت لهجات عامية، أو الدعوة الى ما يسمى" باللغة الثالثة"؟

المبحث الأول: اللغة العربية في العصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية:

إن خلق أي فعل حضاري حقيقي لا يكون الا بعامل مهم جدا، يبدأ باهتمام أولي الأمر، ففي العصر الذهبي للحضارة العرية الإسلامية التي ابتدأت أيام الامويين، ثم نموها في العصر العباسي كان برعاية أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون وغيرهم، حيث اهتموا بالعلم والعلماء، وخصوهم بعطفهم وشمولهم بالرعاية، وأول ما اهتموا به انشاء المكتبات العلمية -وإن كان اهتمام المسلمون بها منذ صدر

الإسلام بالرغم من عدم ازدهار حركة التدوين والتأليف بشكل واسع في ذلك الحين- حيث ازدهرت حركة التدوين والتأليف والترجمة، حيث كان الخلفاء يرسلون البعثات العلمية الى الأمصار المختلفة لشراء الكتب وتزويد المكتبات بها، بل اننا نجد الخليفة " المأمون" يرسل البعثات الى بلاد الروم للبحث في خزائنها العلمية الشهيرة عن الكتب الهامة لنقلها الى البلاد الإسلامية وترجمتها، كما أرسل بعثة علمية الى القسطنطينية لإحضار الكتب اليونانية المتعلقة بالطب والفلسفة من المكتبة الشهيرة الموجودة فيها، كما تم ترجمة الكتب الفارسية والهندية الى اللغة العربية. ١١ولم يقتصر الأمر على الخلفاء وحدهم فقد اقتدى بهم كثير من رجال الدولة وجماعة من أهل الوجاهة والثروة في بغداد، فتقاطر اليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وكان أثر هذا النقل الواسع المدى عظيما في إضافته إلى اللغة العربية.١٢

اذن فالترجمة والتعريب في هذه الفترة هي تجربة الاتصال بالثقافات السائدة آنذاك، وقد تكللت هذه التجربة بالنجاح في نقل الثقافات اليونانية والرومانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها الى اللغة العربية في أول الأمر، ثم دراستها والإضافة اليها بعد التفاعل مع الثقافة العربية الإسلامية والانطلاق من طبيعتها وروحها العلمية، والنتيجة تطوير ما نقلته من الثقافات الأجنبية، وإضافة اليها معارف إنسانية وعلمية نظرية وتطبيقية كثيرة.١٣ دون التخلي عن الهوية اللغوية والحضارية.

اذن فالترجمة لا تعني الجمود ولا التقليد بل إنها تضفي للغة حياة وحيوية، فليس المقصود هنا فعل الترجمة نفسه بقدر ما هو المقصود ما تحققه هذه العملية، وهي بنظري ثلاثة أمور مهمة وهي:

١-نفي التعصب أو القول بالتبعية والجهل لمجرد ترجمة علوم غير العرب من الحضارات المختلفة، لأنه لا تعارض في الجمع بين الهوية الحضارية وبين الارتقاء بالثقافة، ومن بين هذا الارتقاء تعلم اللغات المختلفة والأخذ من الثقافات على اختلاف أجناسها حتى لو لم تترجم الى لغتنا الأم، وهذه هي المعادلة الغائبة. اذ ان هناك فرق بين الحفاظ على الهوية بجميع أشكالها ومنها اللغة وبين الارتقاء بالثقافة ذات الألوان المختلفة. والدليل على ذلك ان الإسلام حض على طلب العلم، عن أبي هريره رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّة) ١٤ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم). ١٥ فالعلم على العموم يؤخذ من أي باب كان، ولا يقال أنه خاص فقط بالعلوم الشرعية، لأن العلوم الشرعية يستقيم بها امر النّاس الدينية والأمور الدنيوية فيما يتعلق بالمعاملات وغيرها- وحتى هذه لا يمكن ان نشترط فيها اللغة العربية -على العموم - مع التقدم الذي حصل ومكن من ترجمة جميع العلوم الإسلامية ومنها القرآن الكريم الى مختلف لغات العالم مما سهل فهم الدين على غير العرب، مما يؤكد على أهمية العلوم اللسانية والتي تعتبر أيضا مهمة في خدمة الدعوة الإسلامية، وهذه سنة الله في الكون: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هود:١١٨-١١٩- فالأمة فئة كبيرة من الناس تربطهم تقاليد وثقافة مشتركة وبصفة عامة لغة واحدة، وهذا ليس عاما على كل الناس، لأنها سنة الاختلاف الكونية التي خلقها الله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ -فاطر:٤٣- ومنها اختلاف الالسنة واللغات: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ -الروم:٢٢-. ان اللغة ترجمان الحضارة، وترجمان الحضارة العلم.لذلك فان ارتباط قوة وجود اللغة انما مرهون بالخروج من قوقعة التخلف والجهل والالتحاق بركب الحضارة عن طريق التقدم العلمي.

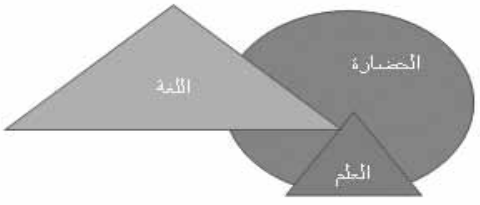

قد يقول قائل وما علاقة هذا الكلام بالحديث عن اللغة العربية ومشاكلها، بل ان هذا الكلام في نظري حجر الزاوية الذي يجب ان ننظر اليه قبل الحديث عن أي شيء، اذ يجب على الكثير من الدعاوى ان تتوقف، فاذا أردنا الحديث عن لغتنا يجب فقط ان ننظر بمقاييسنا نحن أهلها وبالتالي فان مشاكلها هي تعود الينا أولا وآخرا ومحاولات ربطها بهيمنة اللغات الأخرى أو نظرية " المؤامرة" التي لا نجيد غيرها وبان هناك خطط تساعد في تحقيقها العولمة يبقى كلام من وجهة نظري غير صحيح، حيث ذهب البعض – ان لم تكن الغالبية- أن " من أكبر التحدّيات التي تواجه اللغات الحيّة في عالم اليوم تحدي العولمة التي تندفع في اكتساح جارف للخصوصيات اللسانية واللغوية والثقافية التي هي القاعدة الصلبة للوجود المادي والمعنوي للأمم والشعوب، لتشكل بذلك خطراً محدقاً بالهويات الوطنية. وتواجه اللغة العربية اليوم باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية، أخطارا تتفاقم باطراد، تأتي من هيمنة النظام العالمي، الذي يرفض صياغة العالم الجديد متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات، والذي يسعى لفرض اللغة الأقوى بحكم قوة الفعل السياسي والثقل العلمي والتقاني والاقتصادي على المجتمعات الإنسانية التي تقصر وسائلها الدفاعية الثقافية -والسياسية والاقتصادية أيضا -عن التصدي لهذه الهجمة اللغوية الشرسة التي تهدد الأسس الثقافية والخصائص الحضارية."١٦

اننا إذا نظرنا الى " العولمة" كمصطلح فهو جديد، ظهر نتيجة للتطور التكنولوجي الهائل الذي دخل على الإنسانية والعالم. غير انه من المصطلحات التي لم يتفق أصلا على تعريف جامع لها، وذلك لغموض معناها، وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني:" تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله."١٧ إلا اننا نستطيع ان نحدد فكرة مهمة جاءت في المقولة السابقة للدكتور التويجري الا وهي:" قوة الفعل السياسي والثقل العلمي والتقاني والاقتصادي" فهذا هو المحرك للفعل الحضاري بجميع مكوناته ومنها اللغة، وبالتالي فان هذا التقدم هو في حد ذاته من يفرض واقع اللغة "تلقائيا " وليس فعلا "عمدي"، ففي العصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية وبفعل واقع التقدم السياسي والاقتصادي والعلمي تلقائيا كانت العربية محط اهتمام كل باحث عن المعرفة وليس لأن العرب آنذاك فرضوها كواقع على غير الناطقين بالعربية، وهو ما يوضح ان المهتمين باللغة العربية كانت نسبة كبيرة منهم من الأعاجم كما سبق الذكر، كما أن كثيرا من أبناء الجاليات اليهودية في المدن المفتوحة بالأنصار بدأ كثير منهم يتكلمون باللسان العربي منذ القرن الأول للهجرة، بل انه لم يأت القرن الرابع حتى كان معظم رجال الدين اليهود في العراق وفلسطين وفارس يتكلمون العربية فكانت معظم التعليقات والشروح التي كتبت في ذلك الوقت على العهد القديم والمشنا والتلموذ باللغة العربية، وكذلك كانت كل المؤلفات التي كان يكتبها اليهود والسبب في ذلك ان اللغة العربية كانت هي اللغة التي يفهمها الناس جميعا بما في ذلك اليهود.١٨

وعني باللغة كذلك الفرس وحتى الشعوبيين الذين كانوا ينتقصون من هذه اللغة كانوا من احرص الناس على تعلمها واتقانها فما كانوا ليسمحوا لأنفسهم بالتخلف عن ركب الحضارة حتى لو عنى ذلك دراسة العربية.١٩

بل ان حركة الإصلاح الديني المسيحي لما شعروا بالحاجة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة –آنذاك-والتي تمخضت عنها حركة الإصلاح، اتجهوا الى الدراسات العبرانية، وهذه أدت الى الدراسات العربية الإسلامية، لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي.٢٠

ولا ننسى ظهور مصطلح "الاستعراب" أو "المستعرب"، الذي أطلق على جماعة من المسيحيين كانوا يعيشون في ظلال الحكم الإسلامي، تأثروا بالمسلمين فتمسكوا باللغة العربية وآدابها، وقد أخذ علماء التاريخ لفظ الاستعراب وأطلقوه على فترة وصل التأثير العربي الإسلامي فيها ذروة قوته في أوروبا، ومع ميلاد النهضة الأوروبية من فترة:١١٠٠م الى ١٥٠٠م تميزت كذلك بالتأثير الإسلامي في مختلف ميادين المعرفة، وتعرف هذه الفترة بعصر "الاستعراب الأوروبي" أي العصر الذي تعربت فيه أوروبا، وكانت علوم العرب ومعارفهم هي المصدر الأول لكل كتاب في أوروبا. ٢١

وممن ساهم في عملية نقل هذه العلوم العربية طلاب العلم المسيحين الذين توافدوا الى الأقطار العربية ومنهم الرهبان فتعلموا في مدارسها، وبعد أن عاد هؤلاء الى بلادهم نشروا ثقافة العرب، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية. ٢٢

إذن فقوة أو سلطة واقع اللغة هو مرتبط بازدهار حضارة المجتمع ضعفا وقوة فقط دون ذلك، وإلا ما الذي يمنع من القول بأن الحضارة العرية الإسلامية أيضا مارست فرض واقع حضارتها على كل الشعوب التي اختلطت بها، وبالتالي كانت ممارسة " للعولمة بمفهومها

الحالي" إبان فترة تقدمها وازدهارها؟. ومن ثم فاني أذهب الى أن اللغة تتفاعل مع العلوم بصفة أساسية بالدرجة الأولى، ف" العلوم" ذات صبغة "كونية "فتطلب من أي جهة كانت، بينما اللغة ذات صبغة "قومية أممية"، لا تتحقق كونيتها الا بمدى تقدم حضارتها.فاذا أردنا ان ننهض بلغتنا على المستوى الدولي يجب ان نخرج من سباتنا العميق ونلتحق بركب الحضارة بدل الاتهامات التي لا تقدم ولا تؤخر:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ -الرعد:١١-

٢- إن حركة الترجمة والتعريب فعل حضاري وليست قضية لغوية صرفة، وان هدفها اللغوي هو جعل العربية تواكب التنمية بدل من أن تكون تابعة لها، ولا بد في الوقت نفسه من الثقة بان الأمة العربية صاحبة حضارة، لا تحتاج الى تبديل قيمها أو التنازل عن معارفها وخبراتها التاريخية وتراثها في العلوم والفنون والآداب، وأنماط سلوكها وعاداتها وتقاليدها ذلك ان الثقة بالهوية الحضارية لا تناقض الدعوة الى تجديدها.٢٣ وهذا ما تميزت به هذه الفترة من حياة الحضارة العربية الإسلامية، حيث انها لم تقتصر على عملية النقل والاتباع دون أن يكون لها دور في تطوير هذه العلوم والاضافة اليها والباسها اللباس الحضاري الإسلامي بلغتها الأم "العربية". إن العربية تمتاز بخصائص لغوية تجعل منها لغة غنية تستطيع أن تساير التطور الحضاري والفكري، بدليل أنها استطاعت في هذه العهود الإسلامية المختلفة أن تستوعب الفكر الدخيل، وأن تعبر عنه بلغة فصيحة، وقد ألف "ابن جني" اللغوي الشهير٢٤ كتابا ضخما في خصائص العربية، وأهم هذه الخصائص تتجلى في الاشتقاق والتصعيد والتوليد، اما الاشتقاق فعملية خلق وابداع في اللغة، فمن الجذر الواحد او المادة الواحدة كما سماها القدامى نستطيع نظريا ان نشتق أكثر من ألف كلمة بزيادة عناصر صوتية، أو إشارية، أو ضمائرية في أول الكلمة أو في وسطها أو بإضافتها إلى آخرها.أما التوليد فهو إسباغ معنى جديد على كلمة قديمة فصيحة تتضمن معنى آخر، وعندما نقل العرب الفكر الاغريقي عمدوا الى التوليد وأحيانا الى الإشتقاق القياسي، وعندما لم يكن ذلك ممكنا كانوا يعمدون الى التعريب، أي لفظ الكلمة الأعجمية على شكل عربي الوزن. ٢٥ ومن هنا يتبن لنا قدرة اللغة على التكيف، فالعرب في أول عهدهم بالفتوحات لم يكن بالإمكان إيجاد الاصطلاحات والأسماء العربية ما يكفي للتعبير عن المسائل الدقيقة سواء في شؤون الإدارة والمال أو غيرها، فاستطاعت العربية إفادة ألفاظ جديدة كثيرة، إما معربة أو منقولة عن أصولها الأعجمية، المستعملة في الحساب والمساحة والزراعة والتجارة والصناعة مما لم يكن للعرب عهد به من قبل. ٢٦ اذن انه ليس من المفروض دائما القول ب "اعجاز اللغة العربية" وأنها مستعدة في طرفة عين للتعبير عن حضارة ليس للناطقين بها عهد، وانه اذا ما طلب منها ان تفعل ذلك فإنها تمنح مهلة كافية قد تمتد عشرات السنين وعلى الرغم من هذه الحقيقة الواضحة فان اللغة العربية بصفتها لغة الفاتحين لم تمنح مثل هذه المهلة. ٢٧ ومع ذلك استطاعت مواكبة ما جد عليها.

٣- مواجهة الأخطار المحدقة باللغة عن طريق تحصينها للحفاظ عليها : إذ أن المميز في هذه الفترة عدم الاستكانة – مثل التي نراها في عصرنا الحاضر عند بعض العرب الدعاة الى التقليل من شان العربية -، ذلك ان أن العرب كما طولبوا بان يحكموا ويديروا شؤون مجتمعات غريبة عليهم، فكذلك طولبت لغتهم أيضا بان تواكب هذا الدور وتشارك في ميادين ليس لقوالبها ولا لتعبيراتها المألوفة حينئذ عهد بها، فكان على اللغة أن تختار بين موقفين: اما ان ترفض المشاركة انتظارا ليوم تستطيع فيه ان تجد من الفاظها الاصلية وتجارب أبنائها الشخصية ما يعينها على الاستجابة لمطالب الوضع الجديد دون ان تمد يدها لاحد، وهو مالم يكن ليحدث، واما ان تغترف من الثروة اللغوية لمن سبقوا ابناءها في هذه الميادين، خاصة وقد وضعتهم الظروف معا في المجتمع الجديد.٢٨ وهكذا استطاعوا مواكبة هذا التطور، وفي نفس الوقت أعطيت للغة مجالا أوسع للتأليف والتعبير والحياة بعيدا عن الجمود. ولا يقال أيضا أن في هذه الفترة الذهبية لم تتعرض اللغة الفصحى للتحديات نفسها التي نراها اليوم في عالمنا المعاصر، بل تكاد تكون متشابهة، وهي المظاهر التي كانت تتمثل في التغيرات الصوتية لنطق الكلمات العربية الأصيلة والأخطاء المعنوية في استخدام المادة اللغوية، واخطاء الاعراب التي حفلت بذكرها المراجع اللغوية. وهذه الأخطاء أدت الى خلق موقف متشدد لدى ذوي الإحساس اللغوي من الفاتحين العرب دفعهم الى الالحاح على التمسك بالعربية النقية بل وابعاد من تلوثت لغتهم من مناصب الدولة الكبرى، كما أدى الى خلق موجة من حب التراث والبحث عنه ومدارسته وحفظه، وكانت هي حجر الأساس في عملية تقعيد القواعد وبناء الصرح العظيم الذي أصبح يعرف فيما بعد بعلم النحو. وكما كانت الأخطاء الإعرابية سببا في خلق علم النحو، كان سيل الدخيل على متن اللغة سببا في

خلق فن القواميس، هذا الفن الذي لم يوضع أبدا في موضعه الصحيح بين دراسات العربية.٢٩ كما تمت حركة جمع متن اللغة بهدف جمع الكلمات الغريبة في القرآن وتقديم تفسير لها ثم اخذت بعد ذلك شكلا عربيا تحت تأثير انتقال العرب الى حضارات غربية عليهم، من أجل تنقية المحصول اللغوي الذي كانت تستخدمه الالسنة وتجري به أقلام الكتاب من المعرب والدخيل واستطاعت ان تبقي المعاجم عربية ذات أصالة واضحة فلم تكن نقلا عن احد ولم يثبت أنها تأثرت بمصدر خارجي عن البيئة العربية، فالخليل بن أحمد صاحب أول قاموس كبير منظم في اللغة العربية قد اتبع في تبويب قاموسه طريقة تتفق وطبيعة اللغة العربية ونابعة من بنية كلماتها وهي التبويب تحت " مادة الاشتقاق" هذه الاصالة التي اعترف بها كثير من المسشرقين منهم هيوود في افتتاحية كتابه " فن المعاجم العربية حين قال:" احتل العرب مكانة الصدارة بين أمم العالم في عمل القواميس، فلمم يسبقهم فيه أحد...ولو قيض لمعجزة ان تبعث عربيا من القرن الخامس عشر الميلادي وزار بريطانيا القرن العشرين فلن يدهشه ان يرى أجزاء قاموس أكسفورد الضخم مستقرة فوق أرفف المكتبات".٣٠

كما قدم علماء هذه الفترة خدمة جليلة للقرآن الكريم، اذ لما كانت البصرة هي مرفأ العراق التجاري على خليج العرب، شهدت ازدياد فشو اللحن بسبب مخالطة الأعاجم، فقام أبو اسود الدؤلي بالتفريق بين الحروف المهملة والحروف المعجمة بوضع ما يسمى نقط الاعجام، كما قام هو وتلاميذه قراء الذكر الحكيم بوضع النقط لتحرير أواخر الكلمات في القرآن الكريم، وهذا ما سمي رسم العربية وبذلك أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه. وأقام الخليل بن احمد الفراهيدي صرح النحو، اذ انه وضع نظرية العامل والمعمولات، وكل ما يتصل بالسماع والتعليل والقياس، اذ انه اعتمد في تأصيله لقواعد النحو وإقامة بنيانه على السماع أولا، أي الاخذ عن قراء الذكر الحكيم الذين يوثق بفصاحتهم، وعن العرب الخلص فجمع من مصادر السماع أعدادا كبيرة من الشواهد الدامغة على العلاقة التي تربط بين الالفاظ بما يوصل الى المعنى، ثم قام بتحليل ما لديه من معطيات تحليلا يتيح له تعرف القواعد التي تحكم العلاقة بينها، أي انه اتبع منهجا استقرائيا يعتمد جمعا واسعا للظواهر اللغوية ليصار الى تعليلها تعليلا منطقيا أي الى كشف العلة الكامنة وراء ظهورها، ومن ثم الوصول في نهاية الامر الى القياس المبني على الكثرة المطردة من كلام العرب، وقد شرح تلميذه سيبويه تلك الطريقة الاستقرائية في كتابه الذي هو كتاب جامع في قواعد النحو والصرف. ٣١

ولأن هؤلاء العلماء الأفذاذ علموا ان اللغة آخذة في التطور مما قد يؤدي الى انسلاخ اللغة التي نزل بها القرآن، ولما كان النص القرآني لا يتغير فسياتي اليوم الذي لا يستطيع فيه عربي مسلم ان يفهم منه شيئا. فكان الطريق الوحيد أمام هؤلاء العلماء هو ان يحاولوا شيئا لم ينجح في تحقيقه أبناء أية لغة أخرى في التاريخ، سواء من جاء قبلهم او بعدهم، فقد قرروا ان يقفوا باللغة ذاتها ويعزلوها عن تيار التطور او بعبارة أخرى ان يبقوا التوازي بين لغة المجتمع ولغة القرآن، لقد أرادوا ان يجمدوا اللغة العربية في مرحلة اختاروها من بين مراحل تطورها التاريخي بحيث يحتفظون بكل خصائصها في تلك المرحلة، وقد نجحوا في ذلك أيما نجاح فجمدوا أصواتها فيما اصبح يعرف بعدئذ بعلوم القراءات والتجويد وأبواب الادغام وجمدوا أبنيتها في علم الصرف وتراكيب جملها في علم النحو، واساليبها ومعاني تلك الأساليب في علوم البلاغة كما احصوا ثروتها اللفظية وأثبتوها في المعاجم من متخصصة وغير متخصصة، على ان ذلك العمل التقليدي الى جانب كونه ادى لخدمة للقران والإسلام كان في الوقت نفسه خدمة للغة العربية ذاتها كلغة، فقد دفعها الى مصاف اللغات المقننة، وبعد ان كانت مجرد نشاط تلقائي لا رقيب عليه ولا ضابط أصبحت وثيقة من وثائق التاريخ اللغوي للإنسانية ولم يكن ذلك العمل غريبا على حضارة الدلة العربية الإسلامية في ذلك الوقت.٣٢

المبحث الثاني: واقع اللغة العربية في العصر الراهن:

شهدت الساحة العربية كتابات عديدة تبحث عن واقع اللغة العربية في العصر الراهن، منها ما يذهب الى ان السبب الرئيسي ل"أزمة اللغة" هو الضعف العام الذي يسري في كيان الأمة، فيتركها فاقدة للقدرة على ان تحافظ على خصوصياتها، وتحمي كيانها، وهذا يعود الى العوامل الداخلية أكثر من الخارجية، كغياب التخطيط، وإلى سوء الأحوال العامة فيها في الغالب الأعم، أو العوامل الذاتية التي تنبع من الفرد تحت وطأة تأثير المجتمع والبيئة والمناخ الثقافي والوضع التعليمي.وهو ما أدى الى ضعف شديد في الشعور بالانتماء اللغوي، مما

يتولد عنه قلة الاكتراث بالمسألة اللغوية عموما، ويتسبب في نشوء هذه الأزمة اللغوية الحضارية.هذا بالإضافة الى الضعف المتراكم الذي تعرفه أوضاع التربية والتعليم في غالبية الدول العربية، اذ أن موقع اللغة العربية في البرامج التعليمية من رياض الأطفال الى الجامعات لا يرقى الى مستوى المكانة التي يجب أن تتبوأها هذه اللغة، وهو ما يؤدي الى تنشئة أجيال من خريجي المدارس والجامعات والمعاهد العليا صلتها باللغة العربية ضعيفة بوجه عام.٣٣ وبين الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري بان الغزو اللغوي هو أخطر أنواع الغزو الثقافي على الإطلاق، فأثره في شخصية الفرد وفي الشخصية الجماعية للمجتمع من الخطورة ما كان، لأنه يفقد أهم مقوم من مقومات الوجود، وهو الهوية الوطنية التي تنطوي على الخصوصيات الروحية والثقافية، ولذلك فان اللغة الغازية الأجنبية تحارب اللغة المغزوة، وتبعدها عن الحياة، وتفقدها المناعة الذاتية، ولربما تتلاشى وتذوب وبذلك تنقطع الصلة بين الانسان وجذوره، فيصبح بلا هوية، ويكون غير قادر على حماية مقوماته الدينية والحضارية، لفقدانه السلاح للدفاع عن الذات الذي هو قبل كل شيء اللغة الوطنية. ويعوز ذلك أيضا الى تأثير اللغات واللهجات القديمة التي دخلت في صراع مع اللغة العربية بل ومحاولة إقصائها. هذا بالإضافة الى الحرب الثقافية والإعلامية ضد اللغة العربية.٣٤لذلك يحذر معظم المفكرين اللغويين في العالم العربي من أن " غياب الوعي بالمعضلة اللغوية لدى أصحاب القرار في وطننا العربي اذا استمر على ما هو عليه، فان اللغة العربية ستكف أن تكون لغة حية كما هي الان، وذلك بعد ثلاثة أجيال على أقصى تقدير، أي بعد قرن واحد من الآن "٣٥

والحقيقة ان كتاب الدكتور التويجري "حاضر اللغة العربية" يكاد يجمع مختلف الأسباب التي يتداولها الباحثون في الحديث عن أزمة " اللغة العربية" في عصرنا الحالي، أضف الى ذلك ما توصل إليه منذ زمن بعيد اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية الذي عقد في عمان عام (١٩٧٤)حيث خلص الاجتماع إلى تحديد أهم المشكلات والتحديات وتتعلق خاصة بمشاكل تعليم اللغة في مدارسنا، منها :عدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيح وأن منهج تعليم اللغة العربية لا يخرج القارئ المناسب والمواكب للعصر.وعدم توافر قاموس لغوي حديث في كل مرحلة من مراحل التعليم العام. الافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقويم التعليم اللغوي.قلة استخدام المعينات التعليمية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة.ازدحام النحو بالقواعد، وكثير منها ليس وظيفياً.صعوبة القواعد النحوية واضطرابها، الانتقال الفجائي في التعليم من عامية الطفل إلى اللغة الفصيحة. طغيان الماضي على الحاضر في تدريس الأدب.هذا بالإضافة إلى تأثير وسائل الإعلام على الجهود التي تبذلها المدرسة في تعليم اللغة العربية.وقالوا بأن أخطر ما يواجه اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين وفي هذه الأيام "العولمة "هو منافسة اللغة الأجنبية للغة العربية وبما يسمى "ثنائية اللغة" إلى جانب التحدي المستمر للغة بما يسمى ازدواجية اللغة ومزاحمة العامية للفصحى.٣٦ كل ذلك يبعث على النظر الى اللغة العربية على أنها اللغة الأقل شانا والأقل جدارة بالاهتمام فتزيد من جهلهم بها وبمكانتها ودورها في عملية البناء الحضاري، وتقلل من احترامهم لها ومن العناية بها وتضعف من سعيهم او من حماستهم لتطوير مهارتهم فيها.٣٧

ان معظم العوامل الداخلية التي تم الحديث عنها كعوامل أساسية "لهزيمة اللغة" في واقعنا الحالي هو كلام صائب، أما ما يعزونه الى الغزو اللغوي للغات الأجنبية وانها تحارب اللغة المغزوة فهذا - في نظري على الأقل- مجانب للصواب، لأن اللغة كما سبق وذكرت انما قوتها أو ضعفها مرتبط بحضارتها الناطقة بها قوة وضعفا، بل ان هذا الضعف في الحضارة العربية الإسلامية بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة لا يجب ان ننظر اليه بعين الاستغراب، وأنها مأساة عظيمة جدا، لأن هذا التغير من سنن الله الكونية : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾-آل عمران:١٤٠-: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾-فاطر: ٤٣-يقول ابن خلدون :" ومن الغلط الخفيّ في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ إنّما هو اختلاف على الأيّام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدّول سنّة الله الّتي قد خلت في عباده وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسّريانيّون والنّبط والتّبابعة وبنو إسرائيل والقبط وكانوا على أحوال خاصّة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثمّ جاء من

بعدهم الفرس الثّانية والرّوم والعرب فتبدّلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها وإلى ما يباينها أو يباعدها ثمّ جاء الإسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى وصارت إلى ما أكثره متعارف لهذا العهد يأخذه الخلف عن السّلف ثمّ درست دولة العرب وأيّامهم وذهبت الأسلاف الذين شيّدوا عزّهم ومهّدوا ملكهم وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم.."٣٨ وبالتالي ف"إن الحضارة كالكائن الحي في تطوره من البداوة الى الحضارة ثم الاضمحلال".٣٩ واللغة باعتبارها من أهم مقومات هذه الحضارة فإنها تخضع لنفس مقاييس "دورة الحضارة"، فتكون قوية بقوتها، وضعيفة بضعفها، والاضمحلال يعني الضعف وليس دائما بمعنى الفناء والتلاشي.٤٠ وهذا ما يعيشه واقع اللغة العربية في عصرنا الحاضر، وبالتالي يجب ان تتوقف الكتابات التي تذهب في الغالب الى ندب الحظ والتأسف على ما مر وعلى إعادة الكلام في أمجاد الماضي وأمجاد اللغة.

ولا يجب أن نبقى على التحليل التقليدي الذي يذهب الى تفسير واقع لغتنا بأنه من عوامل الغزو الثقافي والعيش في "دائرة المؤامرة" لأنها حجة الضعفاء والعجزة، اذ لا يمكن أن نجبر العالم الإسلامي بأن يعزل نفسه عن بقية الحضارات والثقافات وحتى المتغيرات الحديثة لأنه لا يجب أن تتوجه أفهامنا دائما إلى الخوف والشعور دائما بان هناك عملية استلاب وغزو، لأن هذا في مجمله في نظري لا يعالج المشكلة الحقيقية التي نعيشها على جميع المستويات ومنها اللغة، لذلك أرى أن معظم المحاولات التي سعت الى علاج سواء أزمة واقع اللغة العربية، أو بقية "الأزمات" لم تعمل على تحليل منهجي للمرض الحقيقي الذي أصاب الأمة منذ قرون. فكل مصلح وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته، فرأي رجل سياسي أن المشكلة تحل بوسائل سياسية، ورجال الدين يرون أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ..،على حين أن هذا التشخيص كما يقول مالك بن نبي لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه، وقد كانت النتيجة قريبة من تلك التي يحصل عليها طبيب يواجه حالة مريض بالسل الجرثومي، فلا يهتم بمكافحة الجراثيم وإنما يهتم بهيجان الحمى عند المريض.٤١

لذلك أعتقد أن استمرار أزمة اللغة بصفة خاصة وأزمة حضارتنا بصفة عامة انما يعود الى "التجهيل بالثابت" والتصرف على نحو يفتقر للبصيرة مما يؤدي الى المضي الى الكارثة، لذلك نجد أن الكثير من الحلول المقترحة للخروج من أزمة واقع اللغة العربية، غالبيتها "حلول مهزومة" تزيد من كارثية "واقع اللغة"، بل وتذهب الى جعل مكون اللغة العربية بكامله في قفص الاتهام، من ذلك الاتهام اللغة العربية بالصعوبة، أي انها لغة يصعب على الأجنبي والعربي تعلمها، وانها لهذا السبب هجرها العرب وراحوا يستعملون العامية في حياتهم اليومية، ولو كانت سهلة مرنة لاعتمدها العرب في تفكيرهم واستعمالهم وكتابتهم، ولكنها لغة صعبة مقصورة على بعض الواجبات الدينية، ومن المفيد التخلي عنها لأنها تعوق التمدن والرقي، واعتماد العامية المصرية لأنها سهلة منتشرة في الوطن العربي، وأنه لا بد من تقعيد قواعد العامية، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لنقل العامية من لغة الحياة اليومية الى اللغة الأدبية لغة التأليف والكتابة والمعاملات. ثم ظهرت بهد ذلك دعوات مشابهة لها.٤٢ وقد نص أتباع هذه الدعوة على ان العرب يحسنون صنعا اذا تخلو عن النحو وانصرفوا الى تعليم الأجيال المتعاقبة اللغات الأجنبية، وخصوصا الإنجليزية والفرنسية وهما لغتان أثبتتا قدرتهما على الارتقاء بالأمم، ومرونتهما في التعليم والتعلم، شأنهما في ذلك شان العامية وان لم يكن هناك شيء من ذلك فتيسير النحو واجب وخصوصا حذف الحركات وإلغاء العامل واهمال قدر من الأبواب والقوانين وآراء النحاة واختلافاتهم.٤٣

ان سيطرة العامية تعني انقطاعا عن مجموع التراث العربي ذي الصفة العالمية والدخول الى مستقبل مبتور، لا صلة فيه بين الأمة وتاريخها، فيدخل تراثها العريق في خزائن المتاحف، ونبقى غرباء عن تراثنا. يقول الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه"العرب والانتحار اللغوي"..إن اللغات الأجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية، وانما الذي حل محله في هذا العداء الشرس النافذ، والذي في مستطاعه أن يجهز على العربية..هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى..غزت العاميات منابرنا الإعلامية السمعية والبصرية.. وحوارتنا الثقافية ومجالسنا الفكرية ثم تسللت الى فصول التدريس ومدارج الجامعات..من له أدنى قدر من الحصافة يعرف أنه من المتعذر على أي مجتمع أن يؤسس منظومة معرفية دون أن يمتلك منظومة لغوية تكون شاملة، مشتركة، متجذرة، حمالة للأبعاد المتنوعة فكرا وروحا وابداعا.."٤٤

وللأسف كذلك وجدنا أصواتا في العصر الحديث تعالت بالشكوى من صعوبة النحو العربي، وانها تقف حجر عثرة في طريق تعليم

اللغة وتعلمها، وهذه من المفاهيم الخاطئة، فالعيب ليس في لغتنا وانما العيب فينا، فليست اللغة الفصيحة باللغة الصعبة اذا توافر لها المناخ المناسب ودخلت حياتنا العامة والخاصة، اذ لا توجد لغة في العالم بدون قيود وضوابط، وحتى مع التسليم بصعوبة اللغة العربية ونحوها فهل الحل التخلي عنها واعتبار تعلمها عبثا، فاذا كان هناك من ضاق باللغة العربية أو أحس بالعجز أمامها فهل الحل في التخلي عنها كلية.٤٥ بينما اتهم أحمد أمين الفصيحة بالجمود وعلماؤها بالتزمت والتعصب لإقفالهم باب الاجتهاد، ولكنه لم يدع الى العامية وانما دعا الى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه صونا للغة الفصيحة من الجمود وحرصا على رقيها في العصر الحديث.٤٦ وهناك من يرى أنها لغة عدت عليها العوادي وألوت بها الدهور، فبدأت بالانطواء على ماضيها في شيخوخة لا سبيل الى إيقاف انحدارها فيها، ولذا يرون أنها ستبقى محصورة في مجالات الادب من شعر وقصة ورواية، غير قادرة على تحمل أعباء اللحاق بالعلوم المتطورة والتقنيات المتسارعة محكومة باستيراد الحداثة بلغاتها دون ان يكون لها نصيب في بنائها جازمين بان لا سبيل الى المشاركة في الحداثة الا عن طريق اللغات العالمية.٤٧ بينما انطلق أنصار الفصيحة في معالجتهم قضية تيسير النحو، وأن التيسير يجب ان لا يمس جوهر اللغة العربية الفصيحة، أو أي ركن من أركانها وقبلوا من حيث المبدأ الراي القائل ان النحو صعب لكنهم نصوا على ان الصعوبة نسبية وليست مطلقة، شأنها في ذلك شان اللغات كلها.٤٨

هذا وقد ظهرت الدعوة الى ما يسمى ب " اللغة الثالثة" التي تعني –كما يذهب قائلوها- في واقعها مستوى لغويا يقف وسطا بين الفصحى لغة الأدب وبين العامية ولهجاتها المحلية المختلفة، وتكون بمثابة لغة مشتركة يجيدها الخاصة ولا يعجز عنها أو يستصعبها العامة، وبالتالي فهي –في نظرهم- يمكن أن تكون الحل الأمثل للازمة التي تواجهها اللغة العربية، أو بالأحرى يواجهها العرب مع لغتهم في العصر الحاضر، أو تكون الوسيلة التي يمكن بها التخفيف من حدة الصراع والتنازع القائم بين فصحى العربية وعاميتها، حيث تصبح هذه اللغة الوسيط أو الجسر الواصل بينهما والقاسم المشترك الذي يمكن أن يتوحد عليه أو يلتقي عنده أفراد المجتمع العربي في مجالات التعليم والاعلام وعمليات التثقيف بنحو عام.٤٩

بعد النظر لكل هذه الآراء والمقترحات، أجد أن ما يؤسف عليه اننا أصبحنا من ذوات النظر "للجزئيات" دون محاولة توسيع الأفق والنظر "للكليات"، وبالتالي فان معظم معالجاتنا تبقى دون وضع اليد على الجرح وإيقاف نزيفه، وانما للأسف يزيد الجرح دمامل وتقيحات من هنا وهناك ويزيد من صعوبة الشفاء.

ان كل العلوم بصفة عامة واللغة بصفة خاصة ليست مكونات جزئية ينظر كل واحدة منها بمعزل عن غيرها، فاللغة مكون عام، إذا أردنا ان ننظر الى ازمتها فلننظر الى المكون العام الحضاري، وبالتالي الى الشخصانية الذي ينتمي الى هذا المكون، وفي نظري أهم مكون لا نلقي له بالا، -هو في نظري أخطر ما يتم به التلاعب جهلا أو قصدا – وهو ما تساهم فيه معظم الكتابات للأسف، هو تعميق الشعور بالهزيمة والتخلف، وخلق أزمة هوية عامة وأزمة هوية لغوية بصفة خاصة. مما ساهم في ضياع الجهود القليلة الصادقة الداعية الى النهضة وبث روح الثقة والقدرة على مواكبة العصر والخروج من "شراك العنكبوت"، التي هي من صنع أيدينا. فلا يجب أن نستهين بعقولنا العربية، ذلك أن ان العقل العربي من أذكى العقول، ويكفي اننا اذا نظرنا إلى مسابقات الذكاء العالمية الخاصة بالأطفال نجد أن المتصدرين لها ينتمون لدولنا العربية. ٥٠ وقد قرأت مقالة للأستاذ صلاح مرسي بعنوان: "لماذا يتناقص ذكاء الطفل العربي"، حيث بين فيها أن الدراسات تؤكد أن الطفل العربي من أذكى أطفال العالم، حيث تصل نسبة ذكائه إلى ٩٠ درجة قبل سن الخامسة، وتبدأ هذه النسبة في التناقص بعد ذلك نتيجة لعدة أسباب منها المناهج الدراسية وبرامج التلفزيون المخصصة للأطفال والتي لا تراعي قواعد التربية السليمة ولا تعتمد على تنمية ذكاء الأطفال، وإنما تركز على جعله مجرد متلق سلبي للرسالة التي تبثها المذيعة وبذلك يتوقف نمو الطفل بل انه يتضاءل أمام أسلوب التلقين الذي تعتمد عليه المدرسة ووسائل الإعلام.٥١

وبالتالي فان الحديث عن أي صعوبة في التعلم بصفة عامة واكتساب اللغة العربية الأم على أصولها يبقى عائدا الى سوء التدبير والتخطيط الذي نعاني منه في معظم مؤسساتنا وخاصة التربوية منها وليس الى صعوبة اللغة وقواعدها. حيث غياب التخطيط المنهج، اذ كل قطاع يشتغل بمعزل عن غيره كأنه كل منفصل وهذا أكبر عيب وخلل فينا، اذ لا بد من تكون هناك حلقة وصل دائمة بين مختلف التخصصات لإيجاد منظومة ناجعة للأزمة التي نعيشها بصفة عامة واللغوية بصفة خاصة. كما أود أن أشير وأقولها صراحة أنه آن

الأوان ان نعطي لرجل " التعليم" المكانة التي تليق به اذا ما ارضنا ان نحقق أي نهضة حقيقية للغة ولغيرها، ويكفي التهميش الذي يعيشه لدرجة أنه أصبح مثار سخرية، فقديما تعلمنا أن المعلم كاد أن يكون رسولا، يبني وينشئ أنفسا وعقولا كما بين ذلك أمير الشعراء شوقي في قصيدته: " العلم والتعليم"، بينما تحولت هذه القيمة الأدبية التربوية في عصرنا الحالي إلى قيم مادية محضة، والى سخرية واستهزاء لمكانة المعلم، فلننظر لهذا البيت:

وبجل الطالب ووفه التبجيلا لولا الطالب لكان المعلم يبيع البليلا

أو هذا البيت بصيغة أخرى:

قم للمعلم ووفه التلطيشا كاد المعلم أن يبيع بليلا

في إحدى التعليقات وجدت:" أحسن ما يكون المعلم يبيع مناديل على الطرقات".

فإذا وصلت ثقافة المتلقي الطالب لهذا النوع من التفكير المادي السطحي فهذا معناه أننا فعلا نعيش أزمة حقيقية في التعليم بكامله فكيف بواقع اللغة؟.

هذا وانه يتم تجاهل كثير من الأمور الأساسية التي يمكن ان تؤدي الى علاج أزمة الواقع الحضاري العربي واقع اللغة العربية، منها خاصة ما يسمى ب" تصنيف العلوم"، الذي كان وراء نشوئه دوافع فلسفية ودوافع عملية، فمن الدوافع الفلسفية أن العقل الإنساني يسعى الى تحقيق الانسجام في وسط الفوضى، ومن تم فان محاولات ضبط العلوم وفروع المعرفة المختلفة والمتنامية باستمرار في نظام منطقي معقول لم تتوقف على مدى العصور، وهو الذي كان وراء " تصنيف العلوم"، والى جانب هذا الدافع الفلسفي نجد مجموعة من الدوافع العملية وأهمها :اعداد المواد التعليمية وتوزيعها توزيعا مناسبا على سنوات الدراسة المختلفة، فضلا عن أن هذا الجانب يحقق للمجتمع التوازن المطلوب بين فروع المعرفة الأساسية(التجريبية والإنسانية)، وقد وضع الامام الفارابي أول نظرية في تصنيف العلوم لدى المسلمين، وقد بين في كتابه" إحصاء العلوم" ثمانية علوم أساسية رتبها حسب أهميتها كالآتي: علم اللسان، علم المنطق، علم التعاليم، العلم الطبيعي، العلم الإلهي، العلم المدني، علم الفقه، علم الكلام. وبالتالي نلاحظ أنه صنف علم اللسان في المقدمة، باعتبار أنه مقدمة ضرورية لسائر العلوم، لتقويم اللسان وحفظ اللغة القومية. ثم المنطق لتقويم العقل وتسديد خطاه نحو الصواب والحق وصيانته من الخطأ والزلل. وقسم علم اللسان الى سبعة أقسام: علم الالفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، علم قوانين الالفاظ المفردة وفيه علم الأصوات وعلم الصرف، وعلم قوانين الالفاظ عندما تركب، ويشمل علم النحو وعلم المعاني، والقسم الخامس علم قوانين الكتابة او ما نطلق عليه" الاملاء"، والقسم السادس علم قوانين تصحيح القراءة، وليس المقصود به علم القراءات فقط، ولكنه أدخل فيه ما يمكن ان نطلق عليه في عصرنا الحالي مصطلح " فن الإلقاء"، والقسم السابع علم الأشعار.٥٢

فالفارابي تحت عنوان "علم اللسان" استطاع أن يستغرق كل ما يمس اللغة وآدابها مقدما خريطة تفصيلية لأكثر من عشرة علوم تهدف الى اتقان الشخص للغة قومه، وحسن تصرفه في فنونها، يقول د حامد طاهر: "ان هذا التصور اللغوي المتكامل ينبغي أن يعرض للمناقشة من جديد في عصرنا الحاضر، حتى يمكن استخراج نتائج إيجابية والقيام بتنفيذها في برامجنا التعليمية".٥٣

وانا اميل لهذا الرأي، بل ليس فقط مناقشته وانما وضعها كبرامج تعليمية للغة، اذ لا بد من الرجوع لاعتماد أمهات كتبنا العربية في مناهجنا التعليمية كأحد مكونات قوة اللغة، اذ يكفي ما نعانيه من محاولات التبسيط والتسهيل في البرامج التي أدت الى هذه النتائج الكارثية على مستوى اللغة وغيرها، وآن الأوان انه اذا اردنا ان ننهض ان ننطلق من المرتكزات الحقيقية للعلوم ومنها اللغة العربية تماما مثل ما هي، ويجب ان نخرس الألسن القائلة بالصعوبة وكذلك الالسن اللاهثة بحلول أضعف من قائليها، وكذلك الالسنة القائلة بعدم استطاعة لغتنا على مواكبة العصر، بل هذه من آثار الهزيمة التي يسعون الى بثها في أرواح شبابنا. فكيف نقبل الهزيمة في مجالات المعرفة للغة هي اغنى اللغات في العالم، ان لم تكن أغناها، ويكفي ان ننظر الى كتاب " العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، لنعلم بان عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل (١٢٣٠٥٤١٣)كلمة، ويقول الحسن الزبيدي ان عدد الألفاظ العربية (٦٦٩٩٤٠٠) لفظ لا يستعمل منها الا (٥٦٢٠) لفظا والباقي مهمل، ويقول آخرون ان اللغة العربية تتألف من ثمانين ألف مادة المستعمل منها فقط عشرة آلاف والمهجور من ألفاظها سبعون ألف مادة لم تستعمل الى اليوم، وهذه الإشارات على اختلاف أرقامها وتعدد مصادرها تكشف عن طبيعة اللغة العربية

وتاريخها دون حاجة الى أي قدر من الإشادة أو المبالغة، وهي في مجموعها تعطي الثراء والغنى في الحصيلة وتكشف عن البعد التاريخي والنمو والحيوية في نفس الوقت. هذا بالإضافة الى خصائص أخرى كثيرة. ٥٤ بعد ذلك كله فإننا لن نقبل الإقرار بعجز اللغة العربية عن التعبير المطلوب في المجالات المعرفية الحديثة، كما لا نقبل أولوية العاميات في التطابق مع مقتضيات العصر، ولا نقبل بان تحصر العربية في مجالات الشعر وصنوف الادب، فلا تجدد علاقتها بما يدور في العالم، نحن نؤمن بمتانة اللغة العربية وبما لها من أوتاد راسخة في خدمة الفكر والبيان. ٥٥ وهذا لا يمنع من الاستفادة كذلك من المنطلقات الجديدة في عالمنا في العصر الحديث التي أعادت النظر في الحقائق اللغوية منذ القرن التاسع عشر للنفوذ الى خفايا اللغة، واركانها الفكرية في علاقاتها بالمجتمع باسم اللسانيات الاجتماعية وعلاقتها بالإنسان باسم اللسانيات النفسية.٥٦

إنه إذا كان هناك من عيب فهو فينا لا في اللغة العربية، وما تقع عليه العين من تخلف في أي ميدان من الميادين فمصدره الوحيد قلة اهتمامنا بتطوير فكرنا العلمي، فمن المعروف أن انتشار أي لغة رهين بمدى اسهامها في الواقع الحضاري، ولئن تبث في ماضينا المجيد أن لغتنا كانت لغة حضارة مرت بتجربة ضخمة أبرزت طواعيتها للاكتشاف والتوليد، فعلينا أن نثبت نحن اليوم أنها ما تبرح تمر بالتجارب الضخام، قادرة بل بتجارب أضخم مما سلف، وإنها تواكب نماءنا الحضاري وما تنفك قادرة على اختراع التعابير الحية لجميع الفنون. وقد تبنى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الموقف الإيجابي الدفاعي عن اللغة العربية، حيث وجه في سنة ١٩٦٦م استفتاء حول اللغة العربية، والمشكلات التي تعترض سيرها، وحلول هذه المشكلات، ومعضلات التدريس الجامعي بالعربية وحلول تلك المعضلات، منها وجوب تآزر الجهود بين مكاتب تنسيق التعريب وبين ادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، والمجامع العلمية واللغوية ابتغاء الوصول الى الوحدة الثقافية العربية وتوحيد المناهج والكتب الدراسية،وتشجيع التعريب لمختلف المصادر العلمية، وإصدار معجمين عربيين، أحدهما لغوي والأخر علمي تعدهما الهيئات العلمية واللغوية في الوطن العربي. ٥٧

إن عملية التعريب أو الترجمة اعتمد عليها العلماء المسلمون في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية لنقل العلوم التي لم تكن معروفة لديهم، مما أدى الى اغناء التراث اللغوي، بينما في عصرنا الحالي نجد معادون لحركة الترجمة والتعريب، حيث عدوها حضارة لفظية غير مادية تنفع الشعراء والخطباء والمنشئين، لكنها تعوق التقدم المبني على المنهجية العلمية، على أن المؤمنين بالتراث العربي يعتزون بتجربة العرب في الاتصال بالثقافات الأخرى بوساطة الترجمة والتعريب، ولا تعوزهم الحجة على إمكانية الاستفادة منها في النهضة المعاصرة عموما، وفي حقل الترجمة والتعريب خصوصا، والحق انهم استفادوا منها فوضعوا قواعد محددة لنقل الالفاظ من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية، ثم راحوا يطبقونها أملا في اللحاق بركب الحضارة العالمية، وقد انتجوا بوساطة ذلك آلاف الالفاظ من تسميات ومصطلحات وعشرات المعجمات، كما ترجموا البحوث والدراسات والكتب وحققوا جانبا من التراث العلمي العربي ولا يشك احد أن هذا الاتجاه الذي تبنته المجامع اللغوية العربية وجامعة الدول العربية حق وصدق. ٥٨

وذهب البعض الى ان حركة التعريب المعاصرة لها سماته الخاصة التي تميزها قاطعا على نظيرتها القديمة، بحيث يكون من المشكوك فيه الى حد بعيد في ضوء الظروف الراهنة التي تسود حياتنا المعاصرة ان تؤدي حركة التعريب في الوقت الراهن دورا مماثلا او حتى متشابها لذلك الذي أدته في العصر الزاهي للحضارة العربية. ويرجع الدكتور فؤاد زكريا في كتابه "خطاب الى العقل العربي" السبب في ذلك الى:

١-الفرق بين الحركتين القديمة والحديثة، ان الأولى كانت تعريبا لنتاج ثقافي ينتمي الى حضارة كانت قد توقفت عن العطاء في الوقت الذي اهتدت فيه الثقافة العربية اليها، ومن ثم كان تراثا ساكنا محدد المعالم غير قابل للتجديد، يواجه ثقافة فنية متوثبة توسعت كما وكيفا.

٢-ان حركت التعريب القديمة حدثت في اطار تفوق عربي شامل كانت فيه الشعوب التي نقلنا ثقافتها قد تدهورت ولم يكن واحدا منها ندا للامة العربية التي كانت صاحبة الكلمة العليا في تلك المرحلة من تاريخها، ولا جدال في ان حركة التعريب التي تتم في ظروف السيادة والتفوق تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تتم في ظروف التراجع والانهزام وهي الظروف التي تميز موقفنا الراهن إزاء الحضارة الغربية وبالتالي فان الترجمة غير قادرة على مواكبة تعريب ذلك الفيض الهائل من الأبحاث التي تنتجها الدول المتقدمة علميا بمعدل

متزايد ومن تم يتعين على من يريد متابعة أعلى صور التقدم في ميدان تخصصه ان يقرا ما يكتب بلغة أخرى غير العربية٥٩وذهب أيضا الى ان التعريب لا يصبح في هذه الحالة دليلا على الاستقلال الثقافي بل يغدو مظهرا من مظاهر التبعية والاعتماد على الغير.٦٠

إذا سلمنا بالفروقات هذه بين العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وعصرنا الحالي الا انني لا أسلم بانها كحركة لغوية من مظاهر التبعية أو الاعتماد على الغير، لسببين اثنين: ان النهضة الأوروبية الحديثة لم تخجل أبدا في بدايتها من الاستعانة بالعلوم العربية، سواء بالتشجيع على تعلم العربية قبل النهضة او بترجمتها ما بعد النهضة، فان كان من عيب يحسب علينا فهو اننا نترجم ونبقى جامدين بأماكننا دون محاولة الاستفادة من العقول العربية الفذة القادرة على الإضافة والتطوير بعكس ما فعلته النهضة الغربية، حيث لم تسمح بالتوقف على ما نقلته اليها من معارف عربية بل زادت عليها ووصلت الى ما وصلت اليه اليوم، فلا نلوم ما تتمتع بها لغاتها من الشيوع.

والسبب الثاني الذي يجب ان لا ننساه في تنشيط حركة الترجمة هو ما تقدمه للغة من الاثراء والتجدد من خلال ترجمة العلوم حتى لو لم تكن منا، وتحقق التواصل والتنوع الثقافي المطلوب، وقد آن الأوان أن نوقف الكتابات التي تعمل على التقليل من شأننا وشأن لغتنا لأن الاستمرار في طرح هذا الامر كما يقول د.سمر روحي الفيصل: " ينم عن جهل باللغة او رغبة في اختلاق مسوغ لغوي للحرب النفسية العاملة على اقناع العرب بالتبعية للأمم المتقدمة".٦١ والتي تحول دون خلق فعل حضاري.

خاتـــمة :

ان سنن التقدم والانحطاط للحضارات سنة من سنن الله الكونية -كما سبق وذكرت-فلا يجب أن نتوقف أو ندعو بعدم الاستفادة من الآخر لا أقول المخالف لنا وانما المختلف عنا لغة وعقيدة وغيرها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ -الحجرات :١٣- وليس المقصود بالشعوب فقط العربي منها والا لما خاطب الله بلفظ" الناس". كذلك ف "التعارف" المقصود فيه جميع أنواع التعارف: اللغوي، العلمي، الثقافي، الحضاري، حتى يكون هناك اغناء واغتناء متبادلين، شريطة الحفاظ على مقوماتنا الحضارية الرئيسة، وخاصة اللغوية منها. وهذا شرط وحق مشروع لجميع الشعوب والأمم وليس خاصا فقط بشعوبنا العربية والإسلامية. اذ لا يجب ان ننظر على ان خيرية امتنا لا تكمن الا بهيمنة لغتنا على باقي اللغات او حتى هيمنة علومنا الطبيعية على كل العلوم، فخيرتنا ليست في لغتنا العربية، بل في ديننا وفيما نقدمه من الخير للإنسان في الاهتداء لطريق الله بالمحبة، وخيرية لغتنا انما تكمن في انها جزء لا يتجزأ من مكوننا الحضاري، ومن ثم وجوب الحفاظ عليها وجوب حضاري عربي أكثر مما هو وجوب "عالمي"، والحفاظ عليها يستدعي ضرورة إعادة الثقة في " الشخصية والعقلية العربية" وضرورة استثمار عقولنا العربية لتحقيق التقدم والنهضة عن طريق الاهتمام والنهوض بالقطاع التعليمي وبجميع القطاعات الأخرى، والى ضرورة تنسيق الجهود بين جميع المكونات الثقافية والسياسية والاقتصادية لإيجاد برامج مستقبلية تعمل عليها بطريقة منظمة ومنهجية حتى لو بعد وقت طويل، فأن نصل خير من أن لا نصل، فاذا رجعت الثقة، رجع افتخارنا بهويتنا العربية بصفة عامة وهويتنا اللغوية بصفة خاصة. بل وعلى فرض صحة ما ذهبت اليه الإحصائيات العلمية التي تشير إلى أن ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ لغة تنقرض سنوياً بفعل سرعة التواصل والميل إلى استعمال اللغات العالمية الأكثر فاعلية. حيث أكدت منظمة اليونسكو ذلك في أحد تقاريرها الأخيرة أن عددا من لغات العالم مهددة بالانقراض، ومن بينها اللغة العربية وذلك بعد قرن من الان، فإننا في خلال هذا القرن نستطيع إذا تكاثفت الجهود الحقيقية وفق مخططات استراتيجية ان نصل بلغتنا الى بر الأمان. ما يلزمنا التخطيط الحقيقي والفعل الحقيقي فقط والا معظم إمكانيات النجاح موجودة.

الهوامش

١ -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط: محمد أحمد جاد، محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد النجاوي، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط ٣: ٢٠٠٨، ج:١، ص:٣٢١-٣٢٢.

٢ -مصطفى صادق الرافعي عن كتاب المختار في الادب والنصوص، نقلا من كتاب: المسار الجديد في علم اللغة العام، وليد محمد مراد، دمشق، مطبعة الكواكب، ط ١، ١٩٨٦م.

٣ -دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين لبنان، ط ٢٠٠٩، ص:٣٥٠.

٤ -اللغة العربية، خالد الزواوي، مصر، مؤسسة حورس الدولية للنشر، ط ٢٠٠٢، ص:١٣.

٥ -عبقرية اللغة العربية، محمد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو ١٤٣٧ه ٢٠١٦ م، ص:٧.

٦ -أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية أحمد علي الملا، سورية، دار الفكر، ط ٢: ١٩٨١م، ص:٥٠-٥٢.

٧ -معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، بيروت، عالم الكتب، ط ١: ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، باب ذ ه ب، ص:٨٢٤.

٨ - كلمات في التراث واللغة والعلوم، مروان المحاسني، دمشق، مجمع اللغة العربية، ط ١: ٢٠١١م، ص:٥٦-٥٧.

٩ -نظرية اللغة الثالثة، أحمد المعتوق، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ١: ٢٠٠٥، ص:٢٩.

١٠ -نظريات في اللغة: الألسنية، أنيس فريحة، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط ٢: ١٩٨١م، ص:٧٨.

١١ - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية أحمد علي الملا، ص:٥٥-٥٨.

١٢ - مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، مصر، دار السلام للطباعة، ط:١، ٢٠١٢م، ص:٦٠.

١٣ - المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص:٩٩.

١٤- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ب ت ط، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم:٢٢٣، ج:١، ص: ٨١.ورواه الترمذي في سننه، في باب فضل العلم، رقم:٢٦٤٦، ج:٥.

١٥ - مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد دمشق، دار المأمون للتراث، ط ١: ١٤٠٤ - ١٩٨٤، ج:٥، ص:٢٢٣.

١٦ -اللغة العربية والعولمة، عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ١٤٢٩ ه/ ٢٠٠٨ م، ص:٧.

١٧ - العولمة والهوية الثقافية :عشر أطروحات، محمد عابد الجابري، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد ٦، سنة ١٩٩٨م.

١٨ - مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، ص:٧٢-٧٣.

١٩ - مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، ص:٧٦.

٢٠ -الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، احمد عبد الرحيم السايح، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط:١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص:١٦.

٢١ - حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، جلال مظهر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط :١٩٧٤م، ص:١٥-١٦.

٢٢ - الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، احمد عبد الرحيم السايح، ص:١٨.

٢٣ - المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص:٩٠.

٢٤ - ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي :إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف. كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الموصلي، توفي: في صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة...ولد: قبل الثلاثين وثلاث مائة.. للاستزادة: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله بن قَايْماز الذهبي،تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م،ج:١٧، ص:١٩.و وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط:١٩٠٠، ج:٣، ص:٢٤٦-٢٤٨.

٢٥ – نظريات في اللغة، أنيس فريحة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ٢: ١٩٨١م، ص: ٦٨–٧١.

٢٦ – نظريات في اللغة، أنيس فريحة، ص:٦١.

٢٧ مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، ص:٦٤.

٢٨ –مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، ص:٦٥.

٢٩ مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، ص:٦٥.

٣٠ –مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي،ص:٦٨.

٣١ – كلمات في التراث واللغة والعلوم، مروان المحاسني، ص: ٢٦–٣١.

٣٢ – مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، السعيد محمد بدوي، ص:٧٠.

٣٣ –حاضر اللغة العربية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، المغرب، الرباط، مطبعة الايسيسكو، رقم الإيداع القانوني: MO ١٢٩٤ ٢٠١٣، ص:١٤–١٥

٣٤ –حاضر اللغة العربية، ص:١٩–٢٠.

٣٥ – العرب والانتحار اللغوي، عبد السلام المسدي، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١: ٢٠١١،ص:١٨٢

٣٦ –المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية لتحديد مشكلات تدريسها في التعليم العام بالبلاد العربية وترتيب أولوياتها واقتراح خطط لبحثه، الأردن، عمان:١٩٧٤. راجع أيضا: اللغة العربية، خالد الزواوي، مصر، مؤسسة حورس الدولية، ط: ٢٠٠٢، ص:٤٣.

٣٧ – اللغة العربية، خالد الزواوي، ص:٤٦–٤٧.

٣٨ –ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ص:٣٧–٣٨.

٣٩ – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، راجع الفصل الخامس عشر في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة، ص:٢١٥

٤٠ –راجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، باب: ض م ح ل، ج:٢، ص:١٣٦٨.

٤١ – مالك بن بني، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، بإشراف ندوة مالك بن بني، ١٩٨٦ص:٤٠–٤١.

٤٢–هذا الاتهام من جملة اتهامات "ولهلم سبيتا" في كتابه" قواعد العربية العامية في مصر" الصادر عام ١٨٨٠م، راجع كتاب: المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، لبنان، جروس برس، الطبعة٢ :١٩٩٢، ص:٣٣–٣٤.

٤٣– المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص: ٥٢.

٤٤–العرب والانتحار اللغوي، عبد السلام المسدي، ص: ٢٠–٢١.

٤٥–أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة الى حلول غير تقليدية، أحمد مختار عمر، سلسلة: قضايا فكرية معاصرة، الكتاب السابع والثامن عشر، مايو ١٩٩٧م، ص: ٦٧

٤٦– تاريخ الدعوة العامية وآثارها في مصر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٥١، ج:٦، ص:٢٢٢.

٤٧–كلمات في التراث واللغة والعلوم، مروان المحاسني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط ١: ٢٠١١م، ص:٦–٨.

٤٨–المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص:٦٢.

٤٩–راجع : نظرية اللغة الثالثة، أحمد محمد المعتوق، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ا: ٢٠٠٥.

٥٠– راجع مسابقات الذكاء الدولية المقامة بمختلف دول العالم، كما في المسابقة العالمية للذكاء العقلي بسنغافورة.

٥١–مجلة المنال، لماذا يتناقص ذكاء الطفل العربي؟، بقلم : صلاح مرسي ، أغسطس ، ٢٠١٢.

٥٢–الرجوع لكتاب :إحصاء العلوم، أبي نصر الفارابي، تقديم وشرح: علي بو ملحم، لبنان، بيروت :دار ومكتبة الهلال، ط١: ١٩٩٦م.

٥٣- حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القاهرة، العدد التاسع:١٩٩١م، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، حامد طاهر، ص:٣٧٥-٣٨٩.

٥٤-مقدمات العلوم والمناهج، اللغة والأدب والثقافة، أنور الجندي، دار الأنصار، رقم الإيداع:٨٢/٤٣٣١، ص:٦-٧.

٥٥-كلمات في التراث واللغة والعلوم، مروان المحاسني، ٢٦-٣١، راجع أيضا: المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج:١، ص:٣٢٢-٣٢٣.

٥٦- كلمات في التراث واللغة والعلوم، مروان المحاسني، ص:٥٦-٥٧، واللسانيات النفسية :العلم الذي يفهم خصيصا بأنه التحديد الذي يتضافر مع الدراسة في نظام الاكتساب "القواعد" في مناهج الاكتساب" مرتبطة بالقواعد العالمية، وفي أنماط الادراك" الفهم" والإنتاج.راجع: اللغة والمسؤولية، نوعم تشومسكي، ترجمة: حسام البهنساوي، القاهرة،مكتبة زهراق الشرق، ط ٢، ٢٠٠٥م،١٤٠.

٥٧-دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، لبنان، دار العلم للملايين، ط ٢٠٠٩، ص: ٣٥٠-٣٥٥.

٥٨- المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص:٩٩-١٠١.

٥٩-خطاب الى العقل العربي، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢٠١٠، ص:٣٥-٣٦.

٦٠خطاب الى العقل العربي، فؤاد زكريا، ص:٣٧.

٦١- المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص:١١٦.